شبنغلر... وتدهور الغرب والاشتراك في جريمة القتل تجويعاً

الكاتب : زهير سالم

التاريخ : 10 يناير 2016 م

المشاهدات : 4595

منذ مائة عام تقريباً – 1918 – كتب الفيلسوف الألماني شنبغلر كتابه الأشهر (تدهور الغرب)، والذي ترجم إلى العربية بعنوان (تدهور الحضارة الغربية). في كتابه (تدهور الغرب) تنبأ شنبغلر بتدهور حضارة الغرب خلال ثمانين عاما. أي حتى مطلع القرن الحادي والعشرين. وعدا عن تركيز شنبغلر على نظرية ابن خلدون في (الدور أو العمر الحضاري)، فإنه لحظ أن (الفراغ الرسالي) في حضارة الغرب سيكون المدخل العملي لسقوط الغرب وتدهور حضارته.

هذا الفراغ الذي لحظه الفيلسوف في بنية الحضارة الغربية منذ قرن على مستوى الفرد ومستوى المجتمع والدولة، هو الذي يؤتي ثماره اليوم في صورة اشتراك الغرب (الأوربي والأمريكي) في مشهد القتل والموت المتمادي خلال خمس سنوات في سورية، وأبشعه الاشتراك والتماهي مع جريمة القتل بالتجويع كما وثقته وثائق – القيصر ـ منذ أكثر من عام في أعماق الزنازين، ثم القتل بالتجويع والحصار جهارا نهارا على أعين البشر أجمعين...

المعلقون والدارسون الذين وقفوا مع مطلع القرن الحادي والعشرين متحدين شنبغلر، ومدوا له ألسنتهم لخيبة نبوءته في رأيهم، شهدوا على أنفسهم بقصور الإحاطة، والعجز عن إدراك مغزى التقويم الحضاري، وكيفية قياس نشوء الأمم وتطورها واضمحلالها.

إن غياب البعد الرسالي، و(الانشغال بالتكرارات اللفظية عديمة المعنى) كما يقول شنبغلر، والجري وراء (التوافه والصغائر التي تعيق الإنسان عن التحقق من مرتبته السامية) والتي تعطي الحياة الإنسانية معناها ومغذاها هو الذي يثمر اليوم هذه اللامبالاة المعممة المجسدة لانهيار حضارة الغرب وتدهورها.

وهذا جوهر ما قرره الفيلسوف. إننا مع كثرة ما نسمعه من تكررات لفظية حول الحضارة والحرية وحقوق الإنسان نراقب المشهد الذي يشهد على أصحاب هذه التكرارات بما أقله العنصرية في ازدواج المعايير، أو النفاق في إظهار الطيب من القول والاشتراك في السخيمة من العمل.

إن خمس سنوات من القتل اليومي (المتمادي) في سورية، ولكلمة المتمادي إذ نكررها دلالتها الحضارية والإنسانية

والحقوقية، ومئات الألوف من الأرواح البريئة.. مع قتل وانتهاك عشرات الألوف من النساء ومثلهم من الأطفال، بأشلائهم المبعثرة وصورهم الموثقة التي لم تحرك الضمير الإنساني ولم توقظ الهاجع الحضاري لدول الغرب، لا للحكومات ولا للمجتمعات ولا للشعوب ثم مع مشهد الصور الموثقة لضحايا وشهداء التجويع من المعتقلين والمحاصرين ؛ لا يستطيع المرء إلا أن يؤكد إعلان الفيلسوف الألماني عن تدهور الغرب. وأن يقلب الإعلان الآخر لأبي النازية نيتشة عن موت (الإله) إلى إعلان عملي عن موت الإنسانية في الإنسان.

الذين انقلبوا على الله (جل الله) واعتقدوا أن الغابة هي أصل الإنسان. ووظفوا داروين في غير ما أراده الباحث العلمي، انحطوا إلى ما هو دون مجتمع الغابة في سلوكهم العملي. فالذين أسقطوا الله (جل الله) أسقطوا معه المرجعية القيمية من أصلها في حياة الناس. موقف عبر عنه العبقري الروسي دستويفسكي: (إذا لم يكن الله موجودا فكل شيء مباح).

وهكذا فقد استباحت حضارة و سياسة القرن الحادي زالعشرين كل شيء..حتى دماء الأطفال، وتفننت بالقتل في كل الطرق حتى القتل بالتجويع للاستماع بمشهد الإنسان يموت (عضوا فعضوا) بل (عرقا فعرقا)

حتى صور المجوعين الموثقة لأحد عشر ألف إنسان يموّتون جوعا في زنازين بشار الأسد، حيث لا يوجد لا إرهابيون ولا متطرفون،وكذا صور المجوعين من أهل الزبداني وبقين ومضايا، وقبلهم أهل داريا والمعضمية وبلدات الغوطة، وقبلها ما جرى في القيصر أو في حي الوعر في حمص ؛ كل أولئك الحقائق والوقائع والصور لم تفلح في هز مشاعر أناس يدّعون أنهم متحضرون ويدّعون في الوقت نفسه أنهم آباء أو يملكون قلوب الآباء، وأمهات تتملكهم مشاعر الأمومة التي طالما روت الحكايات البشرية أن الذئبة الأم في الغابة تحنو فترضع (ابن الإنسان)..

إن الغرب الذي ورث حضارة الإنسان في القرون الثلاثة الماضية، وأعطى الإنسانية شكل (الدولة الحديثة) بقيمها ومواثيقها وبصياغاتها وآلياتها، وادعى لنفسه أنه السابق إلى إعلان مواثيق حقوق الإنسان، هو الذي انقلب على حضارته نفسها. وهو الذي فرغها من مضمونها، وهو الذي سجرها عمليا في أتون المصالح اللحظية الضيقة، التي تتجلى اليوم، في صمته الأسود المريب و في تحالفاته العدمية العميقة. عما ما يجري على الإنسان المسلم من كل أشكال الانتهاك.

لا يحق للشياطين الخرس الذين صمتوا وسيظلون صامتين على جرائم الحرب تمارس ضد (أمة مستضعفة مغلوبة) مجردة من كل عوامل القوة، محاصرة بكل أشرار العالم، لا يحق لهؤلاء المتفرجين على مشهد صرعى الجوع في الزنازين والأقبية أو في المدن والبلدات أن يتحدثوا بعدُ عن قيم (حضارة) وعن ثقافة (حقوق إنسان)

فهم بما يسطرون من صفحات جديدة سوداء في تاريخ العلاقات الإنسانية اليوم قد أسقطوا الحضارة وأعلنوا موت الإنسانية في الإنسان..

وإيماننا الحق بكل هذا يدفعنا إلى الإصرار على بقية الإنسانية في قومنا لا بد للمنتصرين للحق من بديل

مركز الشرق العربي

المصادر: